

رئيس التحرير المسؤول
العهد منير عقيقي

الحرب الخشنة بأساليب ناعمة

تهديم اسس المجتمع، تكثيف الاساليب الدعائية، الاتصال المباشر عبر جمعيات تعنى بأمر معينة من مختلف المجالات التي يتشكل او يصاغ بها الرأي العام كالدين، النظام التعليمي، نمط العيش، الحياة الاجتماعية، الحريات الشخصية والعامّة، نظام الادارة والاداء السياسي الرسمي واجراءات انفاذ القانون. في كل مجتمع هناك اشخاص وجمعيات على خلاف ايديولوجي مع سياسة الدولة. وفي اللحظة التي يتم تحريك هذه المجموعات في اتجاه واحد، تتصدع البنى المجتمعية في اتجاه الوصول الى الازمة ومن ثم الانهيار. اذا، هذا هو بالضبط الاسلوب الناعم المعتمد في فن الحرب الخشنة.

في حالة الدول النامية، فان العمل يبدأ بتصديق السلطة المنهكة التي اجهدتها الزبائنية، وفي هذه اللحظة يبدأ الظهور العلني للهيئات والمنظمات التي تدعي العمل لمصلحة المجتمع، في حين ان ما يهتمون به هو استغلال الام الناس لتحقيق الاهداف. اما المجالات الرئيسية التي يطبق فيها التخريب، فتتركز على البنى المجتمعية التي تشمل الدين والتعليم والعائلة والصحة والبيئة... بهدف ضربها واستبدالها بانماط تتوافق مع الخطة الموضوعة والممنهجة وبعناوين براءة تخفي تحت اشعاعها شكلا جميلا من اشكال الانتداب الحديث. العامل المساعد هنا لاستثارة التمللم ثم الغضب من السلطة هو التركيز على البيروقراطية وتفشي الفساد والرشوة في المؤسسات، والفشل في طريقة ادارة السلطة لشؤون الناس والبلاد بحيث تبدأ بالتآكل ببطء، تتبعها زعزعة الاستقرار وصولا الى الانهيار. الثابت هنا ان هذه المرحلة تكون مقدمة لسقوط النظام والكيان...

مواجهة اي دولة للحرب الناعمة لا تحتاج الى اطلاق النار على احد. في بساطة، المطلوب ان يمتلك مسؤولوها الايمان ونزاهة تطبيق القوانين. بمعنى ادق، اذا لم يمتلكوا بعد هاتين القوتين، فلن يصمدوا امام اي قوة جارفة، ناعمة كانت ام خشنة.

اذا طالعنا الابحاث والدراسات عن مراجع تتعلق بالحرب الناعمة او القوة الناعمة، نرى اننا امام بحر من الافكار والتناقضات والتوهيمات والنظريات، ويكاد المرء يضيع بينهما، او يسأل ايهما التعبير الاكثر دقة.

قوام الحرب الناعمة هو في استبدال الدبابة بالاعلام، والجيوش بالعملاء، والاحتلال المادي بالاحتلال الفكري والايديولوجي، والسيطرة على الابدان بخنق النفوس والارواح والعقول والافكار وانماط العيش، وتكريس الهزيمة من دون حاجة الى استخدام القوة العسكرية.

الحال، ان مفهوم "الحرب الناعمة" يعد من المفاهيم الجديدة التي استحدثت في عالم الحروب المعاصرة، والتي تستهدف الدول وانظمتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، باعتماد وسائل واساليب للتأثير في الاخرين، من دون الحاجة المباشرة الى القوة العسكرية.

يتفنن الممسكون بالقرار الدولي بابتداع المخططات والافكار التي تديم هيمنتهم على العالم عموما، وعلى العالم الثالث خصوصا. من الذين كتبوا عن هذه الحرب وروجوا لها الاميركي الليبرالي جوزف ناي الذي عرض هذا المصطلح سنة 1990 في كتابه "وثبة نحو القيادة: الطبيعة المتغيرة للقوة الاميركية". ثم اعاد استخدامه في كتابه "مفارقة القوة الاميركية" عام 2002. ثم طوره في كتاب بعنوان "القوة الناعمة، وسيلة النجاح في السياسة الدولية" سنة 2004. عرّف القوة الناعمة بأنها "القدرة على الحصول على ما تريد من طريق الجاذبية بدلا من الارغام، وهي القدرة على التأثير في سلوك الآخرين للحصول على النتائج والاهداف الموضوعة من دون الاضطرار الى الاستعمال المفرط للعوامل والوسائل العسكرية الصلبة".

تشير الدراسات الاستراتيجية والمراجع السوسولوجية المتخصصة في علم الهندسات الاجتماعية والرأي العام، الى ان المدة الزمنية المطلوبة للوصول الى تغيير مجتمع او تخريبه او تدميره بالكامل تستغرق من 15 الى 20 سنة، وذلك عبر استهداف "قيم المجتمع". وهو وقت كاف لتعليم جيل واحد من الطلاب او الاطفال، بحيث يتركز العمل خلاله على مخاطبة هذا الجيل عبر التسرب الى مناهج دراسته وتشكيل النظرية الايديولوجية للمرحلة التي تلي. تشمل هذه الفترة العمل على التأثير بطرق مختلفة، منها

الى العدد المقبل